Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ووسيلة الحياة الأخرى ، أكان ينتظرهم فى المدينة حتى يأتوا اليها فيقتلوه ؟ لو كان مطلبه متعلقا بشىء فى النفس من متاع الدنيا ، لأمكن أن نلحظ على ما بيننا وبين أولئك الكتاب من خلاف وجهة نظرهم ، ولكن أمر محمد لم يكن شيئا من هذا فى قليل أو كثير .

لقد كان محمد أبعد الناس نظرا وأرجحهم عقلا ، فمنذ أن وصل الى المدينة أخذ فى اعداد العدة لحماية الدعوة من قوم لا يحترمون غير القوة ، ولم يفلح فيهم النصح ثلاثة عشر عاما .

نظر بثاقب فكره فى وسائل الدفاع عن النفس والصحب ، فأحسن ابتكارها وأحسن استعمالها وانتهى الى النصر الذى تقول فى صاحبه دائرة المعارف البريطانية : انه النجاح الذى لم ينل مثله مصلح دينى فى زمن من الأزمان !.

ذلك النجاح المقطوع النظير لم يبدل من حالة محمد فى نسكه وتعبده ، وزهده وتواضعه وتياسره ، وبره ورحمته ، ومظهره ومخبره ، ومطلبه وغايته ، بل بقى والدعوة غالبة فى المدينة كما كان والدعوة مغلوبة فى مكة .

فعظمته عندنا هى فى ملكه ، وفى نبوته ، وفى ملكه برهان آخر على نبوته ، فانه يقف وحده فى تاريخ الفاتحين ناسكا فقيرا زاهدا أوتى كل السلطان ، ثم يموت لا يوصى لأحد بعده ، ويحرم ذريته وأهله الأوفياء ، لا من الملك الذى شاده وحده ، بل مما يرث الناس عادة ، ويقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة .

يذكر فى صلاته ، وهو بكامل العافية شيئا من تبر فى بيته ، فيسرع فيها ، ويدخل البيت ، فيخرجه ويوزعه ، خاشيا أن يدركه الموت وله شىء من الدنيا .

ويدخل مكة فاتحا ، فيضع رأسه ويطأطئه على ناقته وهو يسير ، وأعداؤه على الهوان والعجز ، ويخشى أن تحدثه نفسه من العجب أو الغرور .